من تمسك بحبل الله نجا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وفي هذا الحديث الذي بين أيدينا اليوم، يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

والمعنى: إن هذا القرآن يأخذه أناس، يتلونه ويقرؤونه، فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، ومنهم من يضعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره، وتنفيذًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، واهتداءً بهديه، وتخلقًا بما جاء به من أخلاق -وكلها أخلاق فاضلة-، فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم، ومنبع العلم، وكل العلم.

عناصر الموضوع

١ مكانـــة القـــرآن.

٢ مكانة المتمسك والمعتصم بحبل الله المتين.

٣ لقارئ القرآن رفعة معنوية في الدنيا.

٤ لقارئ القرآن رفعة حسية في الآخرة.

٥ الذيـــن يضعهـــم اللـــه بـــه.

٦ إن التمسك بكتاب الله رفعة للمسلم في الدنيا والآخرة.

٧ من مميزات قارئ القرآن فـي الدنيـا.

٨ من مميزات قارئ القرآن فـي الآخـرة.

٩ مـــن ثمـــرات قـــراءة القـــرآن.

مكانة القرآن

بيَّن لنا الله ﷻ وبيَّن لنا رسوله الكريم ﷺ منزلة القرآن الكريم، فهو كلام الله ﷻ، خير الكلام، فيه الهداية، وفضله كبير وعظيم؛ فهو الذي أخرج به الله تعالى هذه الأمة من الضلالة العمياء والجاهلية الجهلاء إلى نور الهداية وسبل السلام، تتنزل آياته على القلب السقيم فيشفى بإذن الله.

القرآن الكريم: نور الصدور وجلاء الهموم والغموم، وتسمعه النفس الحزينة فتسعد، ويزول همها وحزنها، وهو كلام الله المعجز، وصراطه المستقيم، ونهجه القويم، طريق النجاة، وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فهو كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، من قرأه وتدبر معانيه، عرف منه العقائد الحقة، وأصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأسباب النعيم الأبدي، والعذاب الأبدي، ومن عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح الله له الدارين.[1]

١ المصدر: محمد الأمين الشنقيطي– تفسير أضواء البيان.

مكانة المتمسك والمعتصم بحبل الله المتين

لقارئ القرآن رفعة معنوية في الدنيا:

بعلو المنزلة وحسن الصيت، مَن قَرأهُ وَعَمِلَ بِمُقتَضاهُ مُخلِصًا، يَرفَعُهم في الدُّنيا بِأنْ يُحيِيَهم حَياةً طَيِّبةً،

لقارئ القرآن رفعة حسية في الآخرة:

بعلو المنزلة في الجنة، وَفي الآخِرةِ بأنْ يَجعَلَهُم مِن أهلِ الدَّرجاتِ العُلا مَع الَّذينَ أنعَمَ عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾، [المجادلة: ١١]، أما في الآخرة، فيرفع الله به أقوامًا في جنات النعيم.

وأما الذين يضعهم الله به:

فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته، ولكنهم يستكبرون عنه –والعياذ بالله– فلا يصدقون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، يستكبرون عنه عملًا، ويجحدونه خبرًا، فإذا جاءهم شيء من القرآن، كقصص الأنبياء السابقين أو غيرهم، أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك، صاروا والعياذ بالله يشككون في ذلك، ولا يؤمنون، وربما يصل بهم الحال إلى الجحود، مع أنهم يقرءون القرآن، وفي الأحكام يستكبرون، لا يأتمرون بأمره، ولا ينتهون بنهيه، هؤلاء يضعهم الله في الدنيا والآخرة، فالَّذينَ أضاعُوه وتَركوا العَمَلَ بِما فيهِ، يَجعَلُهم في الدُّنيا في شَقاءٍ وضَنكٍ من العيشِ، وَفي الآخِرةِ في أسفلِ سافِلينَ.

إن التمسك بكتاب الله رفعة للمسلم في الدنيا والآخرة

فالتعلق بالقرآن شرف ورفعة لمن تعلق به، أيًّا كان وجه ذلك التعلق به، خطًّا كان، أو رسمًا، أو نطقًا، أو حفظًا، أو تلاوةً، وعلمًا، أو عملاً؛ فجميع وجوه التعلق بكتاب الله، والاشتغال به: شرف للمتعلق، ورفعة له في الدارين، بحسب ما له من ذلك التعلق؛ وقد جعل الله لكل شيء قدرًا،

كان نزول القرآن بمكة شرفًا لبلد الله الحرام، وكان نزول القرآن في شهر رمضان شرفًا لشهر رمضان، وكان نزول القرآن على قلب محمد ﷺ شرفًا شرفه الله به، وكان حمل القرآن من السماء، من عند رب العالمين شرفًا لحامله الملك الأمين، جبريل عليه السلام؛ فلهذا كان لحافظ القرآن الكثير والكثير من الميزات التي تميزه عن غيره من البشر، سواء في الدنيا أو الآخرة.

من مميزات قارئ القرآن في الدنيا

أولًا: أن حافظ القرآن يُقدَّم على غيره في الصلاة إمامًا؛ ففي صحيح مسلم: أن أبَا مَسْعُودٍ قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا».[1]

ثانيًا: صاحب القرآن يقدّم في الإمارة والرئاسة إذا كان أهلًا لها، واستطاع حملها، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

١ رقم الحديث ١١٢٦ – من كتاب صحيح مسلم –كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

هذا القصة التي وقعت في عهد الفاروق عمر ﷺ؛ أنَّ نَافِعَ بنَ عبدِ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ علَى مَكَّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أَهْلِ الوَادِي؟ فَقالَ: ابْنَ أَبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟! قالَ: إنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإنَّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أَمَا إنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قدْ قالَ: «إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ».[1]

«إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا» يعني: أن منزلتهم تعظم، ويرتقون بين أهل الإيمان، بسبب اشتغالهم بهذا الكتاب، وإيمانهم به، وإقبالهم عليه؛ ولهذا لما كان عمر ﷺ في طريقه إلى مكة، في أيام خلافته، واستقبله أميرها ببعض الطريق، سأله: من خلفت على أهل الوادي؟ فقال: فلان، فسأله عنه، فأخبره أنه من الموالي. لقد ذكر أميرها لعمر ﷺ حال هذا الرجل؛ لما سأله عمر: كيف خلفت على قريش الذين هم أعرق الناس نسبًا، وأشرف العرب رجلًا يكون أميرًا، وهو من الموالي؟! يعني: أنه كان رقيقًا فأُعتق، فأخبر: أنه قارئ للقرآن، وعالم بالفرائض، فذكر عمر ﷺ عندها هذا الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»

وتجد مثلًا آخر هو عطاء بن أبي رباح، عالم إمام من أئمة الدنيا في زمان التابعين، وكان أسود، شديد السواد، أفطس الأنف، أعور العين، وكان الخليفة الأموي وأولاده يأتون في موسم الحج، ويجلسون بجواره؛ ليسألوه عن المناسك، حيث كان أعلم الناس بالمناسك، وكان يصلي، وهو في شغل بهذه الصلاة عنهم، حتى فرغ من صلاته، فتلطف الخليفة بسؤاله، حتى إن بعض ولده قد ضجر من هذا الذي لا يكاد ينظر إليهم، فالله يرفع بهذا

---

١ الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٨١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

القرآن أقوامًا، فلو لم يكن له اشتغال بالقرآن ربما كان يشتغل في منجم، أو في أعمال نظافة، أو في أعمال بناء، أو في أعمال مهنة من المهن، لكان لا قيمة له، لكن الخليفة يأتي هو وأولاده في غاية التلطف به، ثم بعد ذلك يجيب دون أن يلتفت إليهم.

وإذا نظرت إلى العلماء ربما لا تجد نسبًا، ولا مالًا، ولا عافية بدن، أمراضٌ، وعلل فيهم، وربما لا تجد تلك الصورة والمرأى والنضرة والجمال، ولكنه إمام الدنيا، كالشمس، ولما اطلعت زوجة بعض خلفاء بني العباس، ونظرت إلى أحد الأئمة العلماء، والناس يجرون خلفه، وتتقطع نعالهم، فقالت: من هذا؟ فقيل: هذا فلان من العلماء، قالت: هذا الملك! وليس بملك هارون الرشيد، الذي ملك من حدود الصين إلى الأندلس، لكن ذاك يساق الناس إليه بالعصا، وهذا العالم يجرون خلفه محبة وتقديمًا له؛ لماذا؟ لا من أجل دنيا، ولا من أجل خوف، وإنما لما يحمله من القرآن؛ إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا، فإذا كان الإنسان من أهل الاشتغال بالقرآن قُدِّم.

وعمر ﷺ لما طُعن، وأراد أن يولي، وجعلها شورى في النفر الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، قال عمر ﷺ: «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لاستخلفته». وسالم مولى من الموالي، كان رقيقًا، فأعتق، لكنه من أهل القرآن، من القراء، من الصحابة ﷺ، وكانوا هم الذين يثبتون في المغازي، كما في غزوة حنين؛ حيث أمر النبي ﷺ العباس أن ينادي: «يا أصحاب سورة البقرة».[1]

لأن هؤلاء هم الذين يثبتون، ويبقون في النهاية في أرض المعركة.

١ أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٧٧٦) وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وفي حروب الردة في اليمامة لما تضعضع الناس، وانهزموا هزيمة منكرة، وحصلت مقتلة كبيرة، كانوا يتداعون، ويتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، وينادون أهل القرآن، وجمع أصحاب النبي ﷺ، ووضعوا في المقدمة، وكان الأعراب هم الذين قد تقدموا، فأُخِروا، فحصل النصر بعد ذلك.

الإنسان قيمته بحسب ما يحسنه، وتجد الإنسان إذا أقبل على هذا الدين، وأقبل على كتاب الله ﷻ، وعمل به، واشتغل به، ترتفع مرتبته، ويكون له محبة في قلوب الخلق، إن كان له في ذلك نية، والله المستعان.

«وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»، انظر عم النبي ﷺ، أعني: أبا لهب، وهو قريشي، ومع ذلك نحن نقرأ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] فما نفعه النسب، ولا القرب من النبي ﷺ؛ لما كذب بالقرآن، فيضع الله ﷻ بهذا القرآن آخرين.[1]

فهذا القرآن عزيزٌ، وكريمٌ، ومَن اشتغل به، وحفظه، وتدبّره، وتلاه كما أُمِر، وعمل به؛ لا شكَّ أنه سيناله من هذه الأوصاف، فإنَّ مثل هذه الملابسة لا شكَّ أنها تُؤثر، هذا الاشتغال لا بدَّ أن يظهر على هذا المشتغِل به، فتكون فيه من العزّة، والأوصاف الكريمة، والبركة، فهذا القرآن مُبارك، وقد تَكَفَّلَ اللهُ ﷻ بأنَّ مَنْ يَحفظْ القرآنَ يُعِزُّهُ اللهُ ويَرفعُه؛ فقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾[العنكبوت: ٤٩]؛ فجعل الله ﷻ الذي يحفظُ القرآنَ في مكانةٍ عالية ومنزلةٍ عظيمةٍ، جعله من الذين أوتوا العِلْمَ، وإنْ لم يكنْ ذا نَسَبٍ يَرفعُهُ، ولا ذا مالٍ يَكَثِّرُه، ومهما كانَ له من أسباب عدمِ الالتِفاتِ إليهِ فإنهُ إذا وَعى القرآنَ في قلبهِ رَفَعَهُ اللهُ ﷻ وأَعَزَّهُ؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه».[2]

١ شرح حديث عمر وابن عمر والبراء بن عازب رضي الله عنهم من موقع الشيخ خالد سبت.
٢ الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٩٠٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.

وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ». قالَ: وأَقْرَأَ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ في إمْرَةِ عُثْمانَ، حتَّى كانَ الحَجَّاجُ قالَ: وذاكَ الذي أقْعَدَنِي مَقْعَدِي هذا.[1]

القرآنُ الكريمُ كلامُ اللهِ المقدَّسُ، وفيه أحكامُه وأوامِرُه ونواهيه، ومَواعِظُه، وغيرُ ذلك من المعاني النَّفيسةِ التي تُستخرَجُ بالتدبُّرِ والتعقُّلِ، والمسلِمُ مُطالَبٌ بأن يقومَ بذلك مع حِفظِ القُرآنِ، ومَعرِفةِ ألفاظِه ومبانيه ومعانيه، وخيرُ الأعمالِ وأنفعُها للفَردِ والمجتَمَعِ هو تعلُّمُه وتعليمُه؛ فهو طريقُ الهِدايةِ والصَّلاحِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِر النَّبيُّ ﷺ أنَّ أَفضلَ المُسلمينِ وأَرفعَهم ذِكرًا وأَعلاهُم عِندَ اللهِ دَرجةً؛ مَن تَعلَّمَ القُرآنَ؛ تِلاوةً وحِفظًا وتَرتيلًا، وتَعلَّمَه؛ فِقهًا وتَفسيرًا، فأصبَح عالِمًا بمَعانيه، فَقيهًا في أحكامِه، وعلَّم غيرَه ما عِندَه مِن عُلومِ القُرآنِ مَع عَملِه به، وإلَّا كانَ القُرآنُ حُجَّةً علَيه، وليس حُجَّةً له؛ فخَيرُ النَّاسِ مَن جَمَعَ بيْن هَذينِ الوَصْفينِ؛ مَن تعلَّم القُرآنَ، وعلَّم القُرآنَ.

قالَ سعدُ بنُ عُبَيدةَ: وأَقرأَ أبو عَبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ النَّاسَ -أي: جعل يعلمهم القرآن- في إمرةِ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ إلى أنِ انتَهى إقراؤُه النَّاسَ إلى زَمنِ الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفيِّ، وهي مُدَّةٌ طَويلةٌ، والَّذي حَمَلَه على ذلك هو الحديثُ الَّذي حَدَّثَ به عُثمانُ في أفضليَّةِ مَن تَعلَّم القُرآنَ وعَلَّمه، وأَقعَده مقْعدَه هذا، وأشارَ به إلى مَقعدِه الَّذي كانَ يُقرِئ النَّاسَ فيه. وقيل: إنَّه أَرادَ بقولِه: «مَقْعَدي هذا» المقعدَ الرَّفيعَ، والمنصبَ الجَليلَ الذي حَصَل له مع طُولِ المُدَّةِ بِبركةِ تَعليمِه القُرآنَ الكَريمَ للنَّاسِ.

---

١ الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٠٢٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

وقال ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وليس له وقت محدد للنفقة، بل ينفق بالليل، وينفق بالنهار.

«وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر له ذلك، فقال: تلك السكينة، تنزلت للقرآن». متفق عليه.[1]

هذا الرجل جاء في رواية: أنه أسيد بن حضير رضي الله عنه، وهو من الأنصار، كان يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين، يعني: بحبلين، فتغشته سحابة، وهو يقرأ في الليل، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة، تنزلت للقرآن». متفق عليه.[2]

«تلك السكينة، تنزلت» السكينة: ما المراد بها؟ الأقرب: أنها تفسر بالملائكة؛ لأنه قد جاء في رواية أخرى: تلك الملائكة، فذكر له النبي ﷺ أنها نزلت لتسمع قراءته؛ ولهذا قال له: اقرأ ابن حضير، فالسكينة هنا المراد بها الملائكة.[3]

وجاء في تلك الرواية: ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم، فالسكينة هنا نزول الملائكة، وإن كانت السكينة قد تأتي في بعض

---

١ أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف برقم (٥٠١١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن برقم (٧٩٥).

٢ أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن برقم (٧٩٦).

٣ أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن برقم (٧٩٦).

المواضع بمعنى: السكون، والطمأنينة، وذهاب المخاوف من القلب، فهذا قد يحمل عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[البقرة:٢٤٨]. والله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، فهذه طمأنينة النفس، وسكون القلب، وذهاب المخاوف.

والنبي ﷺ أخبر أنه: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».[1]

وهنا في هذا الحديث يحتمل أن يكون المقصود بالسكينة هي السكون، وتحفهم الملائكة، ولا يبعد أن يراد به نزول الملائكة، وأن ما ذكر بعده من حف الملائكة فأمر زائد على ذلك.

ولا شك أن من اشتغل بكلام الله، وكلام رسوله ﷺ، ومجالس الذكر والعلم، أن السكينة تنزل عليه، وهذا أمر لا يخفى، وإذا أردت أن تعرف هذا فانظر إلى حال أناس خرجوا من درس، أو من محاضرة، وقارن بينهم مع آخرين خرجوا من ملعب رياضي مثلًا، فانظر إلى حال هؤلاء وهؤلاء، تفهم معنى السكينة التي تنزل في مجالس الذكر.

---

١ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

من مميزات قارئ القرآن في الآخرة

منها: أنه يكون مع الملائكة رفيقًا لهم في منازلهم، ففي الصحيحين: قال ﷺ: «مَثَلُ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ مَثَلُ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

له الحسنات المضاعفة:

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

ومنزلة الحافظ للقرآن عند آخر آية كان يحفظها:

وقال ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».

يزداد حسنا وبهاء، وينال رضا الله ﷻ أنه يُلبسه تاج الكرامة، وحُلة الكرامة، ففي سنن الترمذي: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً».

ومنها: أن حافظ القرآن يُشَفَّع فيه القرآن عند ربه يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه: أنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

ومنها: أن حافظ القرآن يلبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ففي سنن أبي داود: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا».

وهناك ما هو أعظم من ذلك كله، ألا وهو أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، ففي مسند أحمد وصحيح ابن ماجه: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ فَقِيلَ مَنْ أَهْلُ اللَّهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ».

وكي نصل لهذه المنزلة الرفيعة يجب علينا فعل ما أمر به الله، وهو العمل بالقرآن. فالقُرآنُ الكريمُ هو حبْلُ اللهِ المَتينُ؛ مَن قَرأَه أو حَفِظَه، وعمِلَ بما فيها بنِيَّةٍ صادقةٍ وقلْبٍ مُتيقِّنٍ، وجعَلَه إمامًا له؛ فإنَّ له جزاءً عظيمًا وخُصوصيةً عندَ اللهِ ﷻ.

وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ للهِ أَهْلِينِ مِن النَّاسِ»، أي: أهلًا مِن النَّاسِ هم أولياؤُه وأحبابُه؛ فقال الصَّحابةُ ﷺ: «يا رسولَ اللهِ، مَن هم؟» فقال النَّبيُّ ﷺ: «هم أَهْلُ القُرآنِ»، أي: حَفَظَةُ القُرآنِ العامِلونَ به، الذين يتْلونَه آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهارِ، وإنَّما يكونُ هذا في قارئِ القُرآنِ الَّذي انتفَى عنه جَورُ القلْبِ، وذهَبَتْ عنه جِنايةُ نفْسِه، وتطهَّرَ مِن الذُّنوبِ ظاهرًا وباطنًا، وتزيَّنَ بالطَّاعةِ؛ فلا يكفي مُجرَّدُ التِّلاوةِ؛ ليكونَ مِن أهْلِ القُرآنِ، حتَّى يعمَلَ بأحكامِه، ويقِفَ عندَ حُدودِه، ويتخلَّقَ بأخلاقِه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة: ١٢١]. و«أهْلُ اللهِ وخاصَّتُه»، أي: هم أولياءُ اللهِ الَّذين اختَصَّهم بمحبَّتِه، والعنايةِ بهم؛ سُمُّوا بذلك تعظيمًا لهم، كما يُقال: بيتُ اللهِ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى يخُصُّ بعضَ عِبادِه، فيُلْهِمُهم العمَلَ بأفضَلِ الأعمالِ، حتَّى يرفَعَ درجاتِهم فوقَ كثيرٍ مِن النَّاسِ؛ ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[البقرة: ١٠٥].[1]

وفي رواية: أهلين، وهذه الصيغة صيغة جمع –أهلون أو أهلين– وهذا مُشعر بالكثرة، أنهم كثير، وفَسر هؤلاء بأنهم أهل القرآن، ومتى يكون ذلك صفة صادقة على الإنسان «أهل القرآن»؟، إذا كان حافظًا له، مقبلًا عليه، مشتغلًا بتلاوته، مكثرًا من ذلك، يقرأ كتاب الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار مع العمل به، هكذا حمله بعض أهل العلم؛ من أجل

١ شرح الحديث: «إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». في موقع موسوعة الدرر السنية.

أن يتأهل هذا الإنسان ليكون من أهل القرآن، أما أهل الله: أي أولياؤه وخاصته من خلقه، فهذا يدل على مزيد من الاختصاص، كاختصاص أهل الإنسان به، فهم أقرب الناس إليه، وهذا يدل على قرب هؤلاء من ربهم ﷻ، وعلى قربه ﷻ منهم، ومن كان بهذه المثابة فلا تسأل عن حاله، وعن نزول الألطاف به، وعن حفظ الله ورعايته وهدايته وتوفيقه وتسديده وعنايته بهذا العبد، فهو يتقلب في ألطاف الله ﷻ.

الطريق إلى ذلك هو هذا القرآن، هم أهل القرآن، كما قال ﷺ، وذلك يدل على تشريف- بلا شك- وتعظيم لهؤلاء، إذن ليست القراءة بمجردها هي التي تنفع وترفع، ولكن القراءة التي يحصل معها التدبر، وذلك لا يحصل إلا بحضور القلب مع حياته، فإن ذلك يورث الأعمال الزاكية، والأخلاق الصالحة، وكذلك أيضًا يُصحح القلب، فلا يكون في قلب العبد أدنى التفات إلى غير الله ﷻ، فيكون القلب عامرًا بمحبته، والخوف منه، ورجائه، والتوكل عليه، ويكون قلبه عامرًا بذكره وشكره، وما إلى ذلك مما يُطلب في القلوب، فتنطق الألسن بما رسخ في هذه القلوب، فلا تسمع منه إلا القول الطيب، والكلام الطيب، وكذلك تزكو الأقلام، وهو اللسان الآخر، فلا يكتب إلا ما يُرضي الله ﷻ، وتزكو هذه الجوارح فلا يصدر عنها إلا ما يرضيه، فهؤلاء هم أهل القرآن، وما عداهم فقطاع الطريق، وإن قرءوا القرآن.

والقارئ للقرآن رائحته زكيّة، ومذاقه حلو كالأترجّة؛ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّة ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ

الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ , وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ».[1]

الأُتْرُجَّةِ: هي ثمر شبه التفاحة، وهي من أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب. الريحانة: هي كل ما يستراح إليه، وقيل: هي كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم. الحنظلة: هي نبات ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة .

في الحديث الشريف بيان بأحوال الناس بالنسبة للقرآن؛ فإن النبي ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق، فالمؤمن إما أن يكون قارئًا للقرآن أو غير قارئ . فإن كان قارئًا للقرآن: فنفسه طيبة، وقلبه طيب، وكله خير في ذاته، وفي غيره، والجلسة معه خير، فهو كالأترجة ثمرة لها رائحة طيبة زكية، وطعمها طيب. أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن: فهو كمثل التمرة طعمها حلو، ولكن ليس لها رائحة زكية كرائحة كالأترجّة، فالمؤمن القارئ للقرآن أفضل بكثير من الذي لا يقرأ القرآن، ومعنى لا يقرؤه يعني لا يعرفه ولم يتعلمه. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن: كمثل الريحانة لها رائحة طيبة، لكن طعمها مر؛ لأن المنافق في ذاته خبيث لا خير فيه، والمنافق هو الذي يظهر أنه مسلم، ولكن قلبه كافر. والمنافق الذي لا يقرأ القرآن: ضرب النبي ﷺ له مثلًا بالحنظلة، طعمها مر، وليس لها ريح، فلا خير فيه، وليس معه قرآن ينتفع الناس به.[2]

ومن هنا فهو جليس صالح يتقرب إليه الصّالحون، وأسال الله أن يجعلنا كالأترجة.

---

١ صحيح البخاري، برقم: (٥٤٢٧)، واللفظ له، وصحيح مسلم، برقم: (٧٩٧).
٢ المصدر: شروح الأحاديث النبوية من كتاب رياض الصالحين للشيخ العثيمين.

من ثمرات قراءة القرآن

إنَّ قارئ القرآن في مصافّ العظماء، ومن أفضل النّاس، وأعلاهم درجة، ويضيء الله قلب القارئ، ويقيه ظلمات يوم القيامة، ويبعد عنه الشّدائد، لا يحزنه الفزع الأكبر؛ لأنّه في حماية الله، وقارئ القرآن يستنير عقله، ويمتلئ قلبه بالحكمة، وقارئ القرآن مستمسك بحبل الله المتين، ويعصم من الزّيغ، وينجو من الشّدائد، ويتمتّع بالشّفاء النّاجع، وقارئ القرآن تبتعد عنه الشّياطين، وتخرج من بيته، وتتفجّر منه ينابيع العلم، وحامل القرآن لا يجهل مع مَنْ يجهل، لأنّ القرآن في جوفه يحميه من الحدّة والغضب، وبالقرآن الكريم تعمر القلوب والبيوت، ويعمّها الخير والبركة، وقراءة القرآن تورث القلب خشوعًا، والنّفْس صفاءً، وفي القرآن غنى لأهله، تسعد به قلوبهم، كما يسعد صاحب الأموال بأمواله، وهو غنى لا دخل فيه.

في ظلال القرآن نعمةٌ يعرِفُها من ذاقَها، نعمةٌ تُبارِكُ العُمر وتُزكّيه، وتُسعِدُ القلبَ وتهدِيه. وأيَّةُ نعمةٍ على هذا العبدِ الضعيفِ أعظمُ من أن يُكلِّمه الربُّ ﷻ بهذا القرآن؟! ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]. **إنه لنعمةٌ ورحمةٌ وذِكرى،** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]. **قال المُفسِّرون: «فضلُ الله الإسلام، ورحمتُه القرآن،** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾».

يجبُ أن تمتلِئَ النفوسُ فرحًا بهذا القرآن، ويفيضَ هذا الفرحُ والبُشرى على الوجوه، ويمتدَّ إلى البيوتِ والمُجتمعات؛ فرحًا بهذا القرآن، وبهذه النعمة التي حمِدَ الله نفسَه عليها قبل أن يحمَده الحامِدون، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

ذلك هو القرآن: الكتاب العظيم، اقرأه وتدبر، فوراء كل كلمة منه حكمة بالغة، وسر من أسرار السماوات والأرض، وحقيقة من حقائق الحياة والمصير، ومفتاح من مفاتيح نفسك السائرة كرها نحو نهايتها. فتدبر..

إن فيه كل ما تريد. ألست تريد أن تكون من أهل الله؟ إذن عليك بالقرآن! اجعله صاحبك ورفيقك طول حياتك؛ تكن من (أهل الله) كما في التعبير النبوي الصحيح. قال ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله، وخاصته».

أما ثمار الاعتصام بالله وبحبله المتين فلا حدَّ لها ولا عدَّ، بل إن سعادة الدنيا والآخرة مدارها على هذين الاعتصامين، ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بهما، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، **وقال الله سبحانه وتعالى:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٥].

اللهم اجعل الله القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، ودستور حياتنا، ومصدر عزتنا، وجلاء همومنا، وذهاب أحزاننا.

المراجع

١ الاعتصام بالكتاب والسنة منجاة من الفتن -محمد بن عدنان السمان.

٢ الاعتصام بالله
محمد بن سليمان المهنا .

٣ اعتصموا بالله
مراد كرامة سعيد باخريصة.

٤ شرح الأحاديث من موقع الشيخ خالد.

٥ شرح الأحاديث من موقع موسوعة الدرر السنية.

٦ إن التمسك بكتاب الله رفعة للمسلم في الدنيا والآخرة.